

تفسير ابن كثير

وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ

وقوله [تعالى] : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) : يخبر تعالى أن الله جعل محمدا

صلى الله عليه وسلم رحمة للعالمين ، أي : أرسله رحمة لهم كلهم ، فمن قبل هذه

الرحمة وشكر هذه النعمة ، سعد في الدنيا والآخرة ، ومن ردها وجحدتها خسر في الدنيا

والآخرة ، كما قال تعالى : (ألم تر إلى الذين بدلوا نعمة الله كفرا وأحلوا قومهم دار

البوار جهنم يصلونها وبئس القرار) [إبراهيم : 28 ، 29] ، وقال الله تعالى في صفة

القرآن : (قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى

أولئك ينادون من مكان بعيد) [فصلت : 44] . وقال مسلم في صحيحه : حدثنا ابن أبي

عمر ، حدثنا مروان الفزاري ، عن يزيد بن كيسان ، عن ابن أبي حازم ، عن أبي هريرة

قال : قيل : يا رسول الله ، ادع على المشركين ، قال : " إني لم أبعث لعانا ، وإنما بعثت

رحمة " . انفراد بإخراجه مسلم . وفي الحديث الآخر : " إنما أنا رحمة مهداة " . رواه عبد

الله بن أبي عرابة ، وغيره ، عن وكيع ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة

مرفوعا . قال إبراهيم الحري : وقد رواه غيره عن وكيع ، فلم يذكر أبا هريرة . وكذا قال البخاري ، وقد سئل عن هذا الحديث ، فقال : كان عند حفص بن غياث مرسلا . قال الحافظ ابن عساكر : وقد رواه مالك بن سعيد بن الخمس ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة مرفوعا . ثم ساقه من طريق أبي بكر بن المقرئ وأبي أحمد الحاكم ، كلاهما عن بكر بن محمد بن إبراهيم الصوفي : حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري ، عن أبي أسامة ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن قيس بن أبي حازم ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما أنا رحمة مهداة " . ثم أورده من طريق الصلت بن مسعود ، عن سفيان بن عيينة ، عن مسعر ، عن سعيد بن خالد ، عن رجل ، عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن الله بعثني رحمة مهداة ، بعثت برفع قوم وخفض آخرين " . قال أبو القاسم الطبراني : حدثنا أحمد بن محمد بن نافع الطحان ، حدثنا أحمد بن صالح قال : وجدت كتابا بالمدينة عن عبد العزيز الدراوردي وإبراهيم بن محمد بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الرحمن بن عوف ، عن محمد بن صالح التمار ، عن ابن [شهاب] عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه قال : قال أبو جهل

حين قدم [مكة] منصرفه عن حمزة : يا معشر قريش ، إن محمدا نزل يثرب وأرسل
طلائعه ، وإنما يريد أن يصيب منكم شيئا ، فاحذروا أن تمرؤا طريقه أو تقاربوه ، فإنه
كالأسد الضاري؛ إنه حق عليكم؛ لأنكم نفيتموه نفي القردان عن المناسم ، والله إن له
لسحرة ، ما رأيته قط ولا أحدا من أصحابه إلا رأيت معهم الشيطان ، وإنكم قد عرفتم
عداوة ابني قيلة - يعني : الأوس والخزرج - لهو عدو استعان بعدو ، فقال له مطعم بن عدي
: يا أبا الحكم ، والله ما رأيت أحدا أصدق لسانا ، ولا أصدق موعدا ، من أخيكم الذي
طردتم ، وإذ فعلتم الذي فعلتم فكونوا أكف الناس عنه . قال [أبو سفيان] بن الحارث :
كونوا أشد ما كنتم عليه ، إن ابني قيلة إن ظفروا بكم لم يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة ، وإن
أطعتموني ألجأتهموهم خير كناية ، أو تخرجوا محمدا من بين ظهرائهم ، فيكون وحيدا
مطرودا ، وأما [ابنا قيلة فوالله ما هما] وأهل [دهلك] في المذلة إلا سواء وسأكفيكم
حدهم ، وقال : سأمنح جانبا مني غليظا على ما كان من قرب وبعد رجال الخزرجية أهل
ذلا إذا ما كان هزل بعد جدفبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " والذي
نفسى بيده ، لأقتلنهم ولأصلبنهم ولأهدينهم وهم كارهون ، إني رحمة بعثني الله ، ولا

يتوفاني حتى يظهر الله دينه ، لي خمسة أسماء : أنا محمد ، وأحمد ، وأنا الماحي الذي يمحي الله بي الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب " . وقال أحمد بن صالح : أرجو أن يكون الحديث صحيحا . وقال الإمام أحمد : حدثنا معاوية بن عمرو ، حدثنا زائدة ، حدثني عمرو بن قيس ، عن عمرو بن أبي قرة الكندي قال : كان حذيفة بالمدائن ، فكان يذكر أشياء قالها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجاء حذيفة إلى سلمان فقال سلمان : يا حذيفة ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم [كان يغضب فيقول ، ويرضى فيقول : لقد علمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم] خطب فقال : " أيما رجل من أمتي سببته [سبة] في غضبي أو لعنته لعنة ، فإنما أنا رجل من ولد آدم ، أغضب كما يغضبون ، وإنما بعثني رحمة للعالمين ، فاجعلها صلاة عليه يوم القيامة " . ورواه أبو داود ، عن أحمد بن يونس ، عن زائدة . فإن قيل : فأني رحمة حصلت لمن كفر به ؟ فالجواب ما رواه أبو جعفر ابن جرير : حدثنا إسحاق بن شاهين ، حدثنا إسحاق الأزرق ، عن المسعودي ، عن رجل يقال له : سعيد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في قوله : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال : من آمن بالله واليوم الآخر ، كتب له

الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله عوفي مما أصاب الأمم من
الخسف والقذف .وهكذا رواه ابن أبي حاتم ، من حديث المسعودي ، عن أبي سعد -
وهو سعيد بن المرزبان البقال - عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، فذكره بنحوه ،
والله أعلم .وقد رواه أبو القاسم الطبراني عن عبدان بن أحمد ، عن عيسى بن يونس
الرملي ، عن أيوب بن سويد ، عن المسعودي ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن
جبیر ، عن ابن عباس : (وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين) قال : من تبعه كان له رحمة
في الدنيا والآخرة ، ومن لم يتبعه عوفي مما كان يبتلى به سائر الأمم من الخسف والقذف